نشأة علم الدلالة

أولًا/ نشأة علم الدلالة عند اليونان:

تعرض الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان في بحوثهم ومناقشاتهم لموضوعات تعدُّ من صميم علم الدلالة خاصة عندما ربطوا **بين اللفظ ومدلوله**، وأَوْلَوا **الكلمة** اهتمامًا كبيرًا لارتباطها بسلوك الإنسان، فلا تَحْضُرُ الصورةُ إلى الذهن إلا حين النّطقِ بها. ومعنى هذا أن الدراسة الدلالية قديم قِدم التفكير الانساني ومواكبة لتقدمه وتطوره.

لقد كان لليونانيين أثرهم الواضح والبيّن في بلورة مفاهيمَ لها صلة وثيقة بعلم الدلالة، فلقد حاور "**أفلاطون**" أستاذه "سقراط" حول موضوع **العلاقة بين اللفظ والمعنى**، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدّالّ ومدلوله(أي العلاقة كانت واضحة منذ نشأتها ثمّ تطورتْ)، أما **أرسطو** فكان يرى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى هي علاقة اصطلاحية عرفية(أي ناتجة عن اتّفاق وتراضٍ بين البشر)، وقد مَيّزَ بين **الصوت والمعنى** معتبرًا المعنى متطابقًا مع التصور الذي يحْمله العقل عنه.

وقد تبلورتْ هذه المباحث اللغوية عند اليونان حتى أصبح لكلِّ رأي أنصارَهُ من المفكرين فتأسَّستْ بناءً على ذلك مدارسَ أرستْ قواعد هامة في مجال الدراسات اللغوية .

ثانيًا/ نشأة علم الدلالة عند الهنود:

ولم يكن الهنود أقلّ اهتمامًا بمباحث الدِّلالة من اليونايين، فقد اهتمّوا بلغتهم مُبكّرًا وعالجوا منذ وقت مبكر جدًا كثيرًا من القضايا ترتبط **بفهم طبيعة المفردات والجمل**، ولا نغالي أو نبالغ إذا قلنا إنّهم ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علمُ اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة، منها:

– **(نشأة اللغة)**، إذ ناقشوها من حيث هل هي هِبةُ الله اكتسبها الانسان بالإلهام، أم أنها اختراع البشر وضعت بالمواضعة، أي: من صنع البشر.

– كما أنّهم ناقشوا **(قضية اللفظ والمعنى)** واختلفوا في آرائهم، فمنهم من قال: أن اللفظ والمعنى لا ينفصلان عن بعضهما، ومنهم من قال: أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة فطريّة وطبيعيّة، وبعضهم قال: أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة ضروريّة.

– كذلك أوسعوا النِّقاش في **(أنواع الدلالات للكلمة)** حتى توصّلوا إلى أربعة أقسام:هي/

* قسمٌ يدل على مدلول عام أو شامل، نحو: لفظ رجل،
* وقسم يدلّ على مدلول كيفيّة، نحو: كلمة"طويل"،
* وقسمٌ يدلُّ على حدث،نحو: الفعل"جاء"،
* وقسمٌ يدلُّ على مدلول ذات،نحو: الاسم"محمد".

ولقد بحثوا أيضًا مسائلَ متفرقة أخرى **كأهمية السّياق في إيضاح المعنى** ووجود **الترادف والمشترك اللفظي** كظاهرة عامّة في اللغات وغيرها...

ثالثًا/ نشأة علم الدلالة عند العرب:

وكان للعرب إسهامات واضحة في مجال الدراسات اللغوية، فكان البحث في **دلالات الكلمات** أهمّ ما لفّتَ اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة، وكان ذلك بدافعٍ ديني، مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، وكذلك الحديث عن مجاز القرآن، ومثل التأليف في "**الوجوه والنظائر**" في القرآن الكريم، ومثل انتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضَبْط المصحف بالشّكل يعدُّ في حقيته عملًا دلاليًا؛ لأنَّ تغيرَ الضَّبطِ يؤدي إلى تغيرٍ في معنى الكلمة ودلالتها.

وقد تنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فغطَّتْ جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية، من ذلك تلك الاهتمامات والمحاولات المختلفة التي قام بها ابن فارس فى(معجم المقاييس) والزمخشري فى(أساس البلاغة) وابن جنّي في(الخصائص) في المجالات الدراسية الدلالية المختلفة، فنرى ابن جنِّي مثلًا يوافق رأي سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن(فعلان) مِن أنها تأتي **للاضطراب والحركة** نحو:

(ثوَرَان وغَلَيَان)، فهو يذهب إلى وجود علاقة بين اللفظ ومعناه ، وتحدَّث كثيرًا في **الأصوات** التي تَتَقارَبُ مَخارِجُها وتَتَقارَبُ مَعانِيها، وفي ذلك قال: الهمزة أُخت الهاء ومن ذلك قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ مريم:٨٣ بمعنى تهزّهم هزًّا، فتقارب اللفظان لتُقرِّبَ المعنيين ،وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنَّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النّفوس من الهزّ.

أما من حيث أهم المحاولات التي قام بها اللغويين العرب المحْدثين في مجال الدراسات اللغوية الدلالية والتي تستحق التنويه، تلك المحاولة التي قام بها الدكتور(إبراهيم أنيس) في كتابه(دلالة الألفاظ) والذي تناول فيها بعض المباحث الدلالية اللغوية، وكذلك يدخل في هذا الإطار أيضًا كتاب اللغوي(تمّام حسّان) بعنوان(اللغة العربية، معناها ومبناها)، إذْ يعدُّ هذا الكتاب في إعادة ترتيب الأفكار اللغوية أجْرأْ محاولة بعد محاولتيْ سيبويه وعبدالقادر الجرجاني، ويعدُّ كتاب(علم الدلالة) للغوي (أحمد مختار عمر) آخر الدراسات الدلالية العربية الحديثة المهمّة.

رابعًا/ نشأة علم الدلالة عند الأوربيين:

إنّ معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم، وبمناهج بحثه الخاصة، وعلى أيدي لغويين متخصّصين إنّما تعدُّ ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة، وواحدة من أهمّ نتائجها.

وفي حدود القرن التاسع عشر الميلادي تشعَّبَت الدّراسات اللغوية، إذْ ظهرتْ أولويات هذا العلم منذ أواسط ذلك القرن، وكان من أهمِّ المُسْهمين في وضع أُسسها:

1- ماكس مولر(Max Mulaer): من خلال كتابيه(The science of language)و(The science of thought).

2- ميشيل بريال(michel Breal) اللغوي الفرنسي الذي كتب بحثا بعنوان" مقالة في السيمانتيك" وكان أول من استعمل مصطلح "السيمانيك" لدراسة المعنى وصارت الكلمة مقبولة في الانجليزية والفرنسية.

وفي أوائل القرن التاسع عشر أيضًا ظهر عمل لغوي ضخم للعالم السويدي أَدولف نورين(Adolf Noreen)(ت1925م) بعنون(لُغَتُنا) خصَّصَ قسمًا كبيرًا منه لدراسة المعنى مستخدمًا المصطلح«Semology».

وكذلك(**John Lyons**) الذي صدر كتاب(علم الدلالة التركيبي) سنة(1964) وكتاب(**علم الدلالة**)(1977) وهذا الكتاب يعدُّ من أهم ما كُتبَ عن الدلالة حتى الآن.

وهكذا فقد تتابعَتِ الدراساتُ اللغوية في القرن التاسع عشر وتنوَّعتْ على أيدي اللغويين الأوروبيين، حتى اعْتُبرَ بداية الثلاثينات أهمّ فترةٍ في تأريخ علم الدلالة وأنْضَجها علمًا.

خامسًا/ نشأة علم الدلالة في الولايات المتحدة الأمريكية:

أمّا في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان الوضع مختلفًا، حيث تأخر نشوء هذا العلم بعض الشيء؛ وذلك نظرًا لمهاجمة **دراسة المعنى** من قِبلْ بعض اللغويين الأمريكين واعتباره **هذه الدراسة أضعف نقطة في الدراسة اللغوية**، وكان على رأس هؤلاء اللغوي الأمريكي الشهير(بلومفيلد)، حيث كان يقول بأن **دراسة المعنى** تقع خارج المجال الواقعي والحقيقي لعلم اللغة.

وبعد أن تبيّنت حقيقة رأي بلومفيلد ما لبث الميزان أن اعتدل، وتنبَّهَ اللغويون الأمريكيون إلى خطأ فهمهم ولكن بعد أن مرَّت سنوات طويلة أهملوا فيها علم الدلالة، فظهَرتْ بعد ذلك بعض الكُتيبات الأمريكية الدلالية في أواخر الخمسينات، وبذلك هيّأت السبيل للتحرك ضد المعنى، وصارت كلمات مثل (الدلالة)(meaning) تتردد في الاوساط اللغوية الامريكية بعد أن كان ينظر اليها بعين الاحتقار والازدراء، ولم يتحقق الانتصار الكامل إلا بعد ظهور الاتجاه التوليدي.